الفساد مفهوم وأنواعه وعلاجه في منظور الشريعة الاسلامية

أ.م.د. حذيفة عبود مهدي السامرائي
كلية الإمام الأعظم الجامعة

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.فإن الفساد ظاهرة إنسانية قديمة في الأمم، وآفة مجتمعية عرفت منذ فجر التاريخ ، وهو مرض عضال تحمله كل الدول والمجتمعات سواء أكانت غنية أم فقيرة ، متعلمة أم جاهلة ، دكتاتورية أم ديمقراطية ، قوية أم ضعيفة ، وهو مما يرتبط ظهوره واستمراره برغبة الانسان في الحصول على مكاسب مادية أو معنوية يعتقد في قرارة نفسه أنه ليس له حق فيها ، ومع ذلك يسعى اليها.وحق للأمم الجادة أن تتصدى للفساد باعتباره خروجاً على سير الحياة المستقيمة يتهدد المجتمع وبنيته وبقاءه . اعتنى الإسلام في شموله بظاهرة الفساد فشخَّص الداء، ووصف الدواء. وبحثنا هذا يعتني ببيان مفهوم الفساد وأنواعه وعلاجه في منظر الشريعة الاسلامية ، ولذا كان عنوانه: (**الفساد مفهوم وأنواعه وعلاجه في منظور الشريعة الاسلامية**).وجاءت **خطة البحث** على النحو الآتي:**المبحث الأول:** مفهوم الفساد وصوره في القرآن الكريم والسنة النبوية.**المبحث الثاني:** أنواع الفساد وأسبابه.**المبحث الثالث:** معالجة الفساد والتصدي له في ضوء الشريعة الاسلامية ثم ختمت بخاتمة ضمنتها نتائج وتوصيات الدراسة.

المبحث الأول
مفهوم الفساد وصوره في القرآن الكريم والسنة النبوية.

أولاً: تعريف الفساد لغةً واصطلاحاً.

تعريف الفساد لغةً:قال ابن منظور: ((الفسادُ: نقيض الصلاح، فَسَدَ يفسُد ويفسِد، وفسُدَ فساداً وفسوداً ... المفسَدَة خلاف المصلحة، والاستفسادُ خلاف الاستصلاح، قال الله تعالى ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[1] ، والفساد هنا الجدب في البر، والقحط في البحر. يعني المدن التي على ضفاف الأنهار))[2].وذكر ابن سيدة في المحكم: أن الفساد هو نقيضُ الصَّلاحِ [3].وقال الفيروز آبادي في "القاموس المحيط": ((فَسَد كعَصَرَ، والفساد: أخذ المال ظلماً، والمفسدة ضد المصلحة، وتفاسد القوم يعني تقاطعوا الأرحام))[4].مما سقناه من أقوال أئمة اللغة يتبين أن الفساد جاء في اللغة مقابلاً للصلاح، وأنه يفيد الخروج عن الاعتدال، وأن المفسدة ضد المصلحة، وأن الاستفساد ضد الاستصلاح.

تعريف الفساد اصطلاحاً:

عرفه جمهور الفقهاء في باب المعاملات: بمعنى البطلان، فالمعاملة يجب أن تكون صالحة بأركانها وشروطها، فإذا كانت فاسدة فقد تضمنت أشياء مخالفة للشرع سواء أكان ذلك من حيث الأركان أو الشروط ويبنى على هذا الحكم عدم ترتب أي من الآثار الشرعية على المعاملة التي وصفت بأنها فاسدة[5].أما الحنفية فلهم رأيهم في تعريف الفساد: فالفساد عندهم في باب المعاملات كون الفعل مشروعاً بأصله أي صحيح الأركان وغير مشروع بوصفه أي بشروطه وعلى ضوء ذلك يعدون الفساد منزلة وسطى بين الصحة والبطلان . فالمعاملة عندهم غير باطلة لأن بعض الآثار الشرعية تترتب عليها[6].أما الأصوليون فيتفقون في استعمال هذه اللفظة مع علماء الفقه بالمعنى نفسه ومرة أخرى يريدون معنى مختلف [7].وتعريف علماء المنطق للفساد قريب من التعريف اللغوي إذ يقولون: إنَّ الفساد هو ((انتقاض صورة الشيء وخروجه عن الاعتدال قليلاً كان أو كثيراً وبالضد منه الصلاح واستعماله يكون في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة)) [8].أما تعريف الفساد في الادارة والقانون والاقتصاد: فقد تكاثرت في الآونة الأخيرة البحوث في الفساد ، ولا سيما من قبل خبراء الاقتصاد ، والقانون ، وعلم الاجتماع ، فتركزت بحوث الاقتصاديين في معظمها على العلاقة بين الاستثمار والتنمية الاقتصادية من جهة ونوعية المؤسسات الحكومية من جهة أخرى ونستنتج إن ضعف المؤسسات العامة الذي هو أحد أهم أسباب الفساد يؤدي إلى انخفاض الاستثمار وبالتالي إلى إبطاء عجلة التنمية الاقتصادية. أما البحوث القانونية فإنها تعد الفساد انحرافاً عن الالتزام

بالقواعد القانونية وبالتالي فان هناك إجماعاً على أن للفساد أثراً مدمراً على حكم القانون ، ولا سيما إذا ما طال القضاء. أما البحوث السياسية فهي تركز على الفساد بشرعية الحكم ودور مؤسسات المجتمع المدني ونماذج القوى السياسية[٩] ، بينما يرى علماء الاجتماع الفسادَ بأنه علاقة اجتماعية تتمثل في انتهاك قواعد السلوك الاجتماعي في ما يتعلق بالمصلحة العامة[١٠] كما يعرف أحيانا بأنه الإخلال بشرف الوظيفة ومهنتها وبالقيم والمعتقدات التي يؤديها الشخص المكلف[١١] أو هو استغلال أو إساءة استخدام الوظيفة العامة من أجل مصلحة شخصية فهو يحدث عندما يقوم الموظف المكلف بخدمة عامة بطلب رشوة مقابل الخدمة التي يفترض أن يقدمها مجاناً بحكم كونه مكتتب في الأصل للقيام بها[١٢].وفي تعريف آخر: ((الفساد هو الخروج عن القوانين والأنظمة وعدم الالتزام بها أو استغلال غيابها أو الفجوات في مضمونها من أجل تحقيق مصالح سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية لصالح الفرد أو جماعة معينة))[١٣].وعرفه البنك الدولي في تقرير التنمية الصادر عام ١٩٩٧ بأنه: ((سوء استغلال السلطة العامة من أجل الحصول على مكاسب شخصية))[١٤].وعرفت منظمة الشفافية الدولية (الفساد) بأنه: ((اساءة استعمال السلطة الموكلة لتحقيق مكاسب خاصة))[١٥]ويمكن القول أنه مع اتفاق الجميع؛ باحثين وأكاديميين وساسة على انعكاسات ونتائج الفساد الإداري والمالي والاجتماعي في أي مجتمع ، إلا أن إجماعاً أو اتفاقاً على تعريف محدد لم يحدث حتى الآن[١٦]. فالنظرة إلى الفساد ومحاولة تعريفه من قبل الباحثين تتأثر بالحقل العلمي للباحث وبالمنظور الذي ينطلق منه الراغب في تعريف الفساد، لذلك ليس هناك إجماع على تعريف شامل يطال كافة أبعاد الفساد ويحظى بموافقة كافة الباحثين.

خلاصة القول: إن تعدد مفاهيم الفساد الإداري لا يعني أن مضامينه ومعانيه وأبعاده لا تزال غامضة ونختلف عليها وبالتالي أمر محاربته والتصدي له لن يكون ممكناً أو يسيراً ، ولكن على العكس من ذلك فان التعمق الأكاديمي والتنظير المنهجي والتفريق بين الفساد النابع من طبائع الأشياء أو استعدادات البشر وبين الإفساد الذي تسببه الضغوط والمتغيرات البيئية كل ذلك سيمكن الأنظمة السياسية والهيئات القضائية والمتخصصون في الإدارة والاقتصاد وكل المهتمين ببرامج وخطط الإصلاح الإداري من تبني الاستراتيجيات الوقائية الشاملة والمانعة كبديل للجهود القضائية والأمنية العلاجية التي تهتم بأساليب كشف الفساد والمفسدين[١٧].

ثانياً: صور الفساد ومدلولاته الواردة في القرآن الكريم.

ورد في القرآن الكريم قريب من خمسين موضعاً لكلمة الفساد ومشتقاتها.ويلاحظ المتتبع أن هناك شبهَ تلازمٍ بين مصطلح الفساد وبين كلمة الأرض. وقد ورد هذا التلازم في نحو أربعين آيةً، والقرآن يستعمل مصطلح الفساد بمعنى أوسع يشمل الفساد: العقدي ، والسلوكي ، والحكمي ، والأمني ، والمالي.والقرآن لا يستعمل مصطلح الفساد في المعنى الشرعي الخاص فقط ، بل قد ينقل ذلك حكاية على ألسنة الظالمين والعصاة في وصفهم لحركة الأنبياء والصالحين كوصف أتباع فرعون لدعوة موسى بقولهم: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[١٨].وكقول بلقيس في وصف الملوك: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[١٩].وتارة نجد مصطلح الفساد في القرآن معبراً عن رأي السماء والشريعة في وصف الطغاة أو الخارجين عن الشريعة كقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[٢٠].

وتارة نجده معبراً عن التحذير من عمل يؤدي إلى الفساد كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

(٢١).وأطلق القرآن مصطلح الفساد على تهديد الحياة الآمنة وترويع الآمنين بقطع الطريق عليهم، وإزهاق أرواحهم، ونهب أموالهم، كما هو شأن العصابات الإجرامية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٢).وأطلقه على سفك الدماء وانتهاك العروض حين أورد ذلك القرآن في التنديد بفعل فرعون وقومه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾(٢٣).إن الشعور بالحماية والأمن والاطمئنان من الحاجات الأساسية في أي مجتمع، وفقدانه فقدان للمعنى الحقيقي للحياة، وإن شيوع ظاهرة الاعتداء والتجاوز وسفك الدماء تجعل المجتمع يعيش رعباً مما يجعل الحياة بدون أمل وغير قابلة للتطور. وجاء مصطلح الفساد في القرآن كمقابل لمصطلح الصلاح مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾(٢٤)، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ١٥٢﴾(٢٥)، وقوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾(٢٦).وجاء مصطلح الفساد في القرآن بمعنى القطيعة ؛ قطيعة الأرحام والتدابر بين المسلمين ، وقطع كل ما أمر الله به أن يوصل قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾(٢٧). وقال تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢﴾(٢٨).والطغيان أحد مدلولات الفساد في القرآن قال تعالى في وصف آل فرعون: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢﴾(٢٩).إنَّ مدلول الفساد في ألفاظ القرآن الكريم مدلول شامل لجميع أنواع الفساد وصوره. وقد جعل الشرع الحنيف المعاصي كلها ، فساداً في الأرض، فالمخالفات كلها خروج عن جادة الصلاح، وانحراف عن الطريق المستقيم، سواء أكانت هذه المخالفات في مجال السلوك أو مجال الجرائم الجنائية أو الحقوق المدنية أو الحقوق العامة(٣٠).

ثالثاً: دلالة مصطلح الفساد في السنة المطهرة.

السنة هي أحاديث رسول الله ﷺ وأفعاله وتقريراته ، وهي الأصل الثاني من أصول الدين، وهي رفيقة القرآن الكريم وصنوه.تأتي أحاديث الرسول ﷺ شارحة ومبينة للقرآن، ومكملة لأمور لم تأت في القرآن، وما ثبت بالسنة مثل الذي ثبت بالقرآن فكل من عند الله.ونحن إذا استعرضنا الأحاديث التي جاء فيها مصطلح الفساد لبيان الفساد ومعناه، وجدنا مصطلح الفساد جاء ليدل على المعاني التي دلَّ عليها القرآن، ويدل أيضاً على: تلف الشيء وذهاب نفعه وجاء من هذا قول الرسول ﷺ: « أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ » (٣١). وجاء قوله ﷺ أيضاً: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ كَالْوِعَاءِ، إِذَا طَابَ أَسْفَلُهُ، طَابَ أَعْلَاهُ، وَإِذَا فَسَدَ أَسْفَلُهُ، فَسَدَ أَعْلَاهُ» (٣٢).ومن ذلك قول الرسول ﷺ:

«أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ» [٣٣]ومنه قول الرسول ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَيَرْجِعُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ» [٣٤]. ومنه اختلال الشيء وخروجه عن مألوفه ، وفي هذا المعنى جاء حديث عَنْ بُهَيَّةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ امْرَأَةً تَسْأَلُ عَائِشَةَ عَنِ امْرَأَةٍ فَسَدَ حَيْضُهَا وَأُهْرِيقَتْ دَمًا، فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ آمُرَهَا «فَلْتَنْظُرْ قَدْرَ مَا كَانَتْ تَحِيضُ فِي كُلِّ شَهْرٍ وَحَيْضُهَا مُسْتَقِيمٌ، فَلْتَعْتَدَّ بِقَدْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَيَّامِ، ثُمَّ لِتَدَعِ الصَّلَاةَ فِيهِنَّ أَوْ بِقَدْرِهِنَّ، ثُمَّ لِتَغْتَسِلْ، ثُمَّ لِتَسْتَثْفِرْ[٣٥] بِثَوْبٍ، ثُمَّ لِتُصَلِّ»[٣٦] ، فعبَّر عن اختلال طبيعة المرأة في الحيض بالفساد.وجاء الفساد في السُّـنَّة بمعنى البطلان وعدم الإجزاء: ومن هذا حديث الرسول ﷺ: «لَا يَفْسُدُ الْحَجُّ حَتَّى يَلْتَقِيَ الْخِتَانَانِ، فَإِذَا الْتَقَى الْخِتَانَانِ فَسَدَ الْحَجُّ، وَوَجَبَ الْغُرْمُ»[٣٧]. ومعنى فساد الحج هنا بطلانه شرعاً.

المبحث الثاني

أنواع الفساد وأسبابه

أولاً: أنواع الفساد.

أشرنا سابقاً أن الشرع الحنيف جعل المعاصي كلها فساداً في الأرض ، فإن الفساد قد يكون في العقيدة فيكون فساداً عقدياً وهو أسوأ أنواع الفساد وصوره، وقد يكون أمنياً أو اجتماعياً، وقد يكون مالياً أو أخلاقياً ، وهذه الصور والأنواع نتناولها بالشرح في هذا المبحث:

١. الفساد العقدي:

هو فساد الاعتقاد الذي هو أساس كل فساد ، فسعي الإنسان تبع لمعتقده؛ فإذا كان المعتقد فاسداً كان السعي فاسداً، وإذا كان المعتقد صحيحاً صالحاً صلح سعيه، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾[٣٨]، قال ابن عباس ﷺ: المراد بالفساد: الكفر[٣٩]، وقال غيره: ((إنه النفاق الذي صادقوا به الكفار، وأطّلعوهم على أسرار المؤمنين))[٤٠].وكل من الكفر والنفاق اعتقاد فاسد، يفسد به سلوك المرء فيسعى في الأرض فساداً ، وكيف يصلح من سلب الإيمان من قلبه ؟ فالكفر والنفاق من أنواع الفساد بل أقبح الأنواع لأنه المؤثر على مسلك الإنسان وسلوكه .

٢. الفساد الأمني والاجتماعي:

الأمن أساس النعم، ومن فقد الأمن لا يشعر بسائر النعم ، يقول الرسول ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»[٤١]. فقدَّم الأمن على الصحة والرزق وقد تقدم أن أغلب آيات القرآن التي جاء فيها ذكر الفساد جاءت مرتبطة بالأرض التي هي موطن الإنسان وفيها نشاطه .ويتعرض القرآن بشكل مفصَّل تحت تعبير الإفساد في الأرض إلى ضمانات الأمن الاجتماعي خصوصاً الداخلي منه يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[٤٢]، ويقول: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[٤٣].

هناك حاجات رئيسة وحقوق أساسية يحتاجها المجتمع، ومن غير تحققها لا يمكن أن يستمر نحو تحقيق أهدافه ، وهي حاجات طبيعية تفرضها ظروف الإنسان الطبيعية من غذاء ، وسكن وسلامة وطمأنينة، وتعد حقوقاً أساسية في كل مجتمع ، وأي تهديد لهذه الحاجات أو خلل في تلبيتها أو كفايتها يعد فساداً أمنياً واجتماعياً يهدِّد مسيرة الإنسان لأداء رسالته.

٣. الفساد المالي والاقتصادي:

المال عصب الحياة ، وقد عني الإسلام بتنظيم علاقات البشر المالية ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[٤٤]، والمعاملات الاقتصادية من بيع ، وشراء ، وإجارة ، ومضاربة ، وما شابه ذلك من أنواع التعامل المالي التي هي عقود بين الطرفين، إذا سادها جو الصدق، وعدم التجاوز على حقوق الآخرين، والتزم كل طرف بما يقتضيه العقد، فإن التعامل الاقتصادي والتجاري سوف يكون ناشطاً وفاعلاً وبعيداً عن الخداع والاعتداء والغبن والتدليس، مما يعود على السوق بمزيد من الأموال، وينعكس ذلك أثراً فاعلاً على شيوع قيم الثقة والصدق في المجتمع، مقابل قيم الجشع والظلم والاعتداء والغش التي تؤدي إلى زعزعة الروابط الاجتماعية وتماسك المجتمع، ويهدد استقراره، مما يعدُّ أوضح صور الفساد في الأرض.المال العام هو مال الجميع فالاعتداء الواقع عليه هو اعتداء على أموال الأمة وحتى الاعتداء على مال البعض هو اعتداء على أموال الأمة فتكون المسؤولية تضامنية بين أبناء الأمة لحفظ المال العام الذي هو حق الله تعالى ، فبه تسد حاجة المحتاجين وتأسيس المشروعات النافعة للمجتمع ، فهذه الأموال تأتي إلى خزينة الدولة عن طريق التبرع المالي الذي ندبت إليه الشريعة وضاعفت الأجر والمثوبة عليه وكذلك عن طريق الزكاة التي أوجبها ديننا الحنيف وجعلها ركناً من أركانه وكذلك الضرائب التي يفرضها أُولو الأمر وحسب ما تحتاجها البلاد من مشروعات الخير العام في نواحي الحياة وفي الوقت الحاضر تكون خزينة البلاد نتيجة استغلال ثروات البلاد الطبيعية وبالطرق المشروعة[٤٥] .

٤. الفساد الأخلاقي:

يعد هذا النوع من أخطر أنواع الفساد لأنه تعَدٍّ على الأعراض، خادش لشعور الناس. وقد نظم الله العلاقة الجنسية فقصرها على الزواج، وجعل غير ذلك تعدياً، قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾[٤٦]. فالزنا نوع من أنواع الفساد الأخلاقي مشين ، ويذكر القرآن نوعاً من الفساد الأخلاقي ضمن دعوات قوم لوط وقوم شعيب، فالقرآن يعد عمل قوم لوط من صور الفساد في الأرض، وهذا العمل الشائن يؤدي إلى تهديد النسل، واستمرار الوجود البشري، الأمر الذي لا يحتاج إلى مزيد بيان.والموضوع يطرح في حضارة اليوم تحت عنوان: (المشكلة الجنسية) التي أصبحت معلماً بارزاً وسيئاً وخطيراً ولا سيما في الحضارة الغربية التي تريد أن تحكم العالم اليوم، والجنسية المثلية التي يريد الغرب أن يقننها كظاهرة إنسانية مقبولة، يعتبرها القرآن من صور ونماذج الفساد في الأرض.هذه الظاهرة يعُمُّ خرابها الأرض الآن بما أفرزته من أمراض عجيبة مثل: الأيدز (طاعون العصر) ، ولعل هذه المشكلة وتعقدها تعد ظاهرة بارزة من ظواهر الإفساد في الأرض ، وما تعيشه حضارة الغرب التي تلقي بظلالها السيئة على العالم كله، وهي نموذج جلي لانهيار المجتمع وفساده وتفككه .والإحصاءات لآثار هذه الظاهرة تملأ الصحف وتفيض بها المجلات .

٥. الفساد البيئي:

قضايا البيئة واجهت البشر في أخريات القرن الماضي ، وأصبح التلوث البيئي هاجساً لجميع الأمم المتقدمة وغيرها، وأصبحت مكونات البيئة من مكان وهواء وماء مهددة بالفساد والاستهلاك، ويجمع المختصون أن السلوك البشري يُعد أول مهددات البيئة بالإسراف والتبذير والتلوث.ولعلنا نجد الإشارة لهذا في قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٤١ ﴾[٤٧].قد أولى الشرع الحنيف أمور البيئة

العناية كلها، فمن مبادئ الشرع عدم الإسراف في استهلاك كل شيء، فمثلاً نهى عن الإسراف في الماء، ولو كان ذلك في البحر، ولو كان المتوضئ على ضفة نهر جار . وحمى الماء من التلوث، فنهى عن البول في الماء، وعن التبول في أماكن الناس ومواردهم، وإن الاعتداء على البيئة نوع من أنواع الفساد.

٦. الفساد الإداري :

يعبر عن الفساد الاداري بأنه ((سلوك بيروقراطي يستهدف تحقيق منافع ذاتية بطرق غير شرعية))[٤٨]. ويتعلق بمظاهر الفساد والانحرافات الإدارية والوظيفية أو التنظيمية وتلك المخالفات التي تصدر عن الموظف المكلف بخدمة عامة أثناء تأديته المهام في منظومة التشريعات والقوانين والضوابط ومنظومة القيم الفردية التي لا ترقى للإصلاح وسد الفراغ لتطوير التشريعات والقوانين التي تغتنم الفرصة للاستفادة من الثغرات بدل الضغط على صناع القرار والمشرعين لمراجعتها وتحديثها باستمرار، وهنا تتمثل مظاهر الفساد الإداري في عدم احترام أوقات العمل أو التراخي أو التكاسل وعدم تحمل المسؤولية وإفشاء أسرار الوظيفة كما تتمثل مظاهر الفساد الإداري باضطرار المواطنين إلى إتباع أساليب ملتوية لإنجاز أعمالهم بسبب عجز أو تقصير الجهاز الاداري عن الإنجاز، وتضخم الدوائر والمؤسسات الحكومية الذي يرافقه اختيار قيادات إدارية غير مؤهلة وقصور سياسات الأجور عن توفير الحد الأدنى لمستلزمات العيش وتراكم الثغرات في القوانين والأنظمة و التشريعات وتغلغل العناصر المتمرسة في الفساد الإداري إلى المستويات الإدارية العليا وفي ظل هذه الأوضاع يضطر المواطنون عادة إلى تقديم الرشاوى للموظفين إذ يتمتع موظفو الحكومة في الوقت نفسه ولاسيما في مراكز المسؤولية الإدارية العليا بمزايا القوة والحصول على امتيازات شخصية في الدولة بشكل قانوني (دور سكن ، سيارات ، مكافآت ، هدايا ...غيرها)[٤٩] .

٧. الفساد القضائي والقانوني :

ويتمثل ذلك في الازدواجية في تطبيق النصوص القانونية وفي تفسيرها تبعاً لأطراف العلاقة والمحاباة والمجاملة والمحسوبية لصالح ذوي الجاه على حساب الضعفاء والتساهل والإجراءات الروتينية المعقدة والممارسات غير القانونية (أثناء تنفيذ القانون أو السعي لتطبيقه) من قبل بعض رجال القانون (محامين وقضاة) إن المشكلة في نظام العدالة القضائية المطبق في كثير من البلدان لا يتمثل بالضرورة في نقص مواد العقوبات المتعلقة بالفساد ، أو وجود العقوبات الصارمة بحق المفسدين بل في المواد القانونية التي لا يتم تطبيقها بشكل سليم أو أنها تطبق بشكل انتقائي نتيجة لخضوع المؤسسة القضائية هنا وهناك لضغوط المستويات السياسية[٥٠].لذلك تتسم السلطة القضائية بالضعف والقصور في قيامها بدورها الدستوري كمؤسسة تختص بتفسير القوانين والفصل في المنازعات ولاسيما عندما تكون سيطرة السلطة التنفيذية عليها نافذة وقوية.

٨. الفساد السياسي :

يعرف الفساد السياسي بأنه: ((إساءة استعمال السلطة العامة لتحقيق مكسب خاص))[٥١]. ويتعلق بمجمل الانحرافات المالية ومخالفة القواعد والأحكام التي تنظم المؤسسات السياسية في الدولة، ومع إن هناك فارقاً جوهرياً بين المجتمعات التي تنتهج أنظمتها السياسية أساليب الديمقراطية وتوسيع المشاركة، وبين البلدان التي يكون فيها الحكم شمولياً ودكتاتورياً ، لكن العوامل المشتركة لانتشار الفساد في كلا النوعين في الأنظمة تتمثل في نسق الحكم الفاسد (غير الممثل لعموم الأفراد في المجتمع وغير الخاضع للمساءلة الفعالة من قبلهم).فالفساد إذاً ملازم بدرجات متفاوتة للحياة السياسية التي هي في آن واحد صراع على النفوذ والمصالح والموارد وهي أيضا إدارة للشأن العام ،لا يعني التلازم ضرورة أو تبريراً بل مجرد ترابط متفاوت الدرجات والمواقع والخطورة والانتشار بين مفهوم وممارسة و ثقافة مبنية على نفوذ وصراع نفوذ وبين ممارسة وثقافة تغلب طابع الشأن العام في السلطة والممارسة الوطنية[٥٢].وتتمثل مظاهر الفساد السياسي في الحكم الشمولي الفاسد، وفقدان الديمقراطية ، وفقدان المشاركة ،وفساد الحكام وسيطرة نظام حكم الدولة على الاقتصاد وتفشي المحسوبية والمنسوبية.

فالبلدان التي تتبنى النظام الشمولي وهيمنة الدولة على النشاط الاقتصادي تواجه مستوى مرتفعا من الفساد يطال كبار المسؤولين الحكوميين ، ويسمى بالفساد الأسود ، وهو الفساد الذي ينتج عنه مخاطر وأضراراً كبيرة على الدولة والمجتمع والذي يتعلق بسوء استعمال السلطة من قمة الهرم الحكومي من أجل منافع شخصية ويتمثل في عقد الصفقات التجارية الكبيرة في إطار العلاقات الدولية(٥٣).

ثانياً: أسباب الفساد

يورد الكتاب عدداً من الأسباب المؤدية إلى الفساد في الوقت الحاضر ، التي بالعمل على الحد منها يتم تجفيف منابع الفساد، ومن أهم الأسباب ما يأتي:

١. اتساع حرية التصرف للمسؤولين بدون ضوابط دقيقة بما يمكنهم من التصرف في الأموال الموضوعة تحت تصرفهم لمصلحتهم الخاصة، وكذا أخذ الرشاوى لإنجاز الخدمات المكلفين بأدائها للمواطنين.

٢. قلة المساءلة: وتأتي من عدم وجود سياسات منظمة وضابطة للتصرفات المالية، ثم عدم كفاية وضعف أجهزة الرقابة، وأخيراً عدم توفر المعلومات (الشفافية) عن الأداء بما يمكن من خلالها التعرف على حالات الفساد عند حدوثها.

٣. الاستهانة بالقوانين وضعف النظام القضائي وبطء إجراءاته ثم التراخي في تنفيذ الأحكام، وهذا ما يمكن ملاحظته في العديد من الدول التي تصدر القوانين فيها من غير مشاركة فعالة من المواطنين ولصالح جهات معينة بالدرجة الأولى، ثم تبعية القضاة في تعيينهم وتحديد رواتبهم للسلطة التنفيذية التي انخرط الكثير من قياداتها في الفساد، وأيضاً بطء إجراءات التقاضي وإمكانية كبار المفسدين من توكيل محامين قادرين على إما مد أجل التقاضي إلى أن يستطيعوا التأثير على أدلة الاثبات، أو عدم تنفيذ الأحكام الصادرة ضدهم.

٤. الاحتمال الضعيف للامساك بالمخالف في قضايا الفساد ولاسيما في حالة الفساد الكبير الذي ينخرط فيه كبار المسؤولين في الدولة بما لديهم من سلطة يمكنهم بواسطتها التأثير على أجهزة الرقابة.

٥. ضعف العقوبات المقررة على مرتكبي جرائم الفساد الاقتصادي مقارنة بما يحصلون عليه من عوائد ومنافع من جراء ارتكاب الفساد.

٦. ضعف وانعدام الأخلاق لدى مرتكبي الفساد إذ تمثل الرادع الأول للإنسان عن ارتكاب الفساد، وذلك ناتج من ضعف العقيدة وعدم مراقبة اللّه عزوجل.

٧. الفقر الناتج عن ضعف الدخل ولاسيما المرتبات التي تدفع لصغار الموظفين ولا تكفي لسد حاجاتهم الأساسية بما يجعلهم يحاولون تعويض ذلك باختلاس ما بعهدتم من أموال وقبول رشاوى من الجماهير.

٨. غياب القدوة ممثلة في مديري الأعمال وكبار المسؤولين إذ إن انخراط هذه الفئات الكبيرة في الفساد يشجع الموظفين تحت رئاستهم على تقليدهم.

٩. التحولات الاقتصادية التي يشهدها العالم الآن في ظل العولمة، إذ إن الاتجاه نحو رأسمالية السوق الحرة الذى بدأ يسود العالم وما يتضمنه من تقليص دور الحكومة في الاقتصاد وبالتالي قلة المساءلة، ثم المنافسة التي تصل إلى حد الصراع القاتل، وحرية تحريك الأموال بين دول العالم مما أوجد فرصة أمام كبار المفسدين لتحويل ما يحصلون عليه من غير وجه حق إلى المؤسسات المالية العالمية وتدويرها في أعمال مشروعة لإخفاء مصدرها غير الشرعي فيما يعرف بغسيل الأموال، هذه الظروف كلها أوجدت بيئة مناسبة أمام المفسدين لمحاولة اخفاء جرائمهم(٥٤).

هذا فضلاً عن الفساد المستورد الذى أتى مع العولمة كما يشير تقرير منظمة الشفافية الدولية، إلى إن كثيراً من الرشاوى في العالم الثالث تدفعها جهات من العالم الأول(٥٥).

المبحث الثالث

معالجة الفساد والتصدي له في ضوء الشريعة الاسلامية.

ارتبط ذكرُ القرآن والسنة لمفهوم الفساد بمعالجة الفساد وأسبابه، والقضاء عليه والحيلولة دون وقوعه ، وسلك الشرع الحنيف في التصدي للفساد عدة مسالك: منها توجيهي وإرشادي ، ومنها وتحذيري ، وآخر عقابي تمثل في عقوبات من السلطة ضد المفسدين لاوقد تمثل مسلك التوجيه والإرشاد والتحذير في الآتي :

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

وهو فريضة ماضية إلى يوم القيامة أوجبها الله تعالى على الناس وجوباً كفائياً، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[٥٦]. والأمر بالمعروف نصيحة، والنصيحة كما قال ﷺ: « الدِّينُ النَّصِيحَةُ: لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » [٥٧].ويقول ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[٥٨]. والتغيير باليد إنما يكون لصاحب السلطة وإلا كان فتنة وفساد كبير.والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنجع السبل للحد من الفساد وأسبابه.

عدم اتباع سبيل المفسدين :

إن القوى الاجتماعية الضاغطة كثيرة، وهي كثيراً ما تستدرج المصلح ليتحول بعد مدة وجيزة عن أداء دوره، وهنا نرى القرآن يسوق لنا وصية موسى لهارون عليهما السلام لما استخلفه في قومه: ﴿ وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[٥٩]، ونهى الله عن الركون لأهل الظلم قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[٦٠].

نزاهة المصلحين:

ينبغي على المصلحين الإخلاص، وإلا فإن كلامهم يفقد أثره، بل يكون تأثيره في الناس عكسياً ، لذلك نهى القرآن عن القول من غير عمل بل اعتبره مقتاً كبيراً قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[٦١]، فالتناقض بين دعوة المصلح وبين مسلكه مضرة بالدعوة، عقبة في طريق الاصلاح .التزام الداعية بما يدعو إليه تجعله قدوة للناس بفعله، ولعل دلالة الفعل في بعض الأحيان تكون أقوى من دلالة القول.

الدعوة إلى الإصلاح بالحكمة :

قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾[٦٢] ، وقال ﷺ عن الرفق: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[٦٣].

يقول الله تعالى لرسوله الكريم: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** [٦٤]. وقد أوصى الله موسى وهارون لما أمرهما بالذهاب إلى فرعون، وهو إمام الكفر في زمانه، قال تعالى: **﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾**[٦٥].

ويضرب الرسولﷺ مثلاً أعلى للدعاة والمصلحين في معالجته للفساد، وذلك بالأخذ بالحكمة ومراعاة حالة الفرد . فقد روى أنس ﷺ قال: قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» (٦٦).

التصدي للفساد من قبل السلطة:

من سماحة الشريعة الإسلامية أنها كفلت للناس حفظ الكليات الخمسة التي لا يأمن الإنسان في حياته، ولا يسعد في عيشه إلا بالطمأنينة على سلامتها، هذه الكليات هي : النفس، والمال، والعرض، والعقل، والدين.وجعلت كل تهديد وتعدٍّ على هذه القيم، ضرباً من ضروب الفساد والإفساد ، وشرعت لذلك معالجات عقابية رادعة تردع الجاني، وتزجر غيره عن التعدي عليها، معروفة بالعقوبات الحدية فللمعتدي على النفس البشرية شرع الله القصاص قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾وللتصدي على المال بالسرقة شرع الله قطع اليد اليمنى من مفصل الكف قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾(٦٩).أمَّا التصدي على المال بقطع الطريق أو السطو على البنوك ودور المال في شكل عصابات؛ فقد جاء مقدماً في هذا وذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾(٧٠).والتعدي على الأعراض بالزنا جعل الله عقوبته جلد البكر ورجم المحصن والمحصن هو الذي جامع في نكاح صحيح قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾(٧١)وقال النبي ﷺ: «خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ، وَالرَّجْمُ»(٧٢).أما التعدي بالفساد على العقل وذلك بشرب المسكر، فقد جلد فيه الرسول ﷺ بجريدتين أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وزاد عمر إلى ثمانين وكله سُنَّة(٧٣)والتعدي على الدين يتمثل في الردة بعد الإيمان، وفي هذا يقول ﷺ: « مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ »(٧٤).وهذا الجانب العقابي في التصدي للفساد منوط بولي الأمر صاحب السلطة لا يباشره غيره، فتكون فتنة في الأرض وفساد كبير(٧٥).ونشير الى أن كشف الفساد: لا بد أن يتم بمستويات وأساليب عدة تنبني على المسؤولية الدينية، هذه المسؤولية التي تنبع من واجب الرعاية بمستوياتها المتعددة التي حددها رسول اللَّه ﷺ في قوله: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (٧٦).ولذلك فإن كل شخص تحت مسؤوليته وفي نطاق سلطاته مهام معينة فإن عليه مسؤولية المحافظة والحماية من أي فساد، وعليه أن يتابع أولاً بأول ويكشف أي انحراف وفساد يحدث، ومن هذا المنطلق نجد أن المسؤولية عن كشف الفساد تتعدد بين أطراف عدة كل في مستواه وهم على الوجه الآتي:

- رئاسة الدولة.
- الإدارة المباشرة.
- المسلم ذاته.
- جمهور المسلمين.وهكذا نجد أن النظام الإسلامي يحاصر الفساد بعيون مفتوحة وعلى المستويات كلها لكشفه وتقديم المفسدين لينالوا عقابهم الملائم(٧٧).

الخاتمة

أسأل الله العلي القدير أن يحسن خاتمتنا في الأمور كلها ، ويوفقنا في الدنيا والآخرة، والحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، الذي أعانني على انجاز هذا البحث ، وفي الختام أستخلص النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: النتائج

١. جاء مصطلح الفساد في اللغة: يفيد عدم الصلاح، والخروج عن الاعتدال.

٢. أما في الاصطلاح: فلم يحصل اتفاق على تعريف محدد للفساد. الا أننا نميل الى التعريف الآتي: ((الفساد: هو الخروج عن القوانين والأنظمة وعدم الالتزام بها أو استغلال غيابها أو الفجوات في مضمونها من أجل تحقيق مصالح سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية لصالح الفرد أو جماعة معينة))(٧٨).

٣. صور الفساد ومدلولاته في القرآن الكريم: ورد في القرآن الكريم نحوٌ من خمسين موضعاً لكلمة الفساد ومشتقاتها. ويلاحظ المتتبع أن هناك شبه تلازم بين مصطلح الفساد وبين كلمة الأرض. إذ ورد هذا التلازم في نحو أربعين آية، والقرآن يستعمل مصطلح الفساد بمعنى أوسع يشمل الفساد: العقدي ، والسلوكي ، والحكمي ، والأمني ، والمالي.

٤. مدلول الفساد في ألفاظ القرآن الكريم مدلول شامل لجميع أنواع الفساد وصوره. وقد جعل الشرع الحنيف المعاصي كلها، فساداً في الأرض، فالمخالفات كلها خروج عن جادة الصلاح، وانحراف عن الطريق المستقيم، سواء كانت هذه المخالفات في مجال السلوك أو مجال الجرائم الجنائية أو الحقوق المدنية أو الحقوق العامة.

٥. دلالة مصطلح الفساد في السنة المطهرة: إذا استعرضنا الأحاديث التي جاء فيها مصطلح الفساد لبيان الفساد ومعناه، وجدنا مصطلح الفساد جاء ليدل على المعاني التي دلَّ عليها القرآن، ويدل أيضاً على: تلف الشيء وذهاب نفعه.

٦. أنواع الفساد: جعل الشرع الحنيف المعاصي كلها فساداً في الأرض ، ويأتي على أنواع متعددة .. منها: ((الفساد العقدي ، والفساد الأمني والاجتماعي ، والفساد المالي والاقتصادي ، والفساد الأخلاقي ، والفساد البيئي ، والفساد القضائي والقانوني ، والفساد السياسي)).

٧. أسباب الفساد: من أهم الأسباب ما يأتي:

اتساع حرية التصرف للمسؤولين بدون ضوابط دقيقة ، قلة المساءلة ، الاستهانة بالقوانين وضعف النظام القضائي وبطء إجراءاته ، ضعف العقوبات المقررة على مرتكبي جرائم الفساد ، ضعف وانعدام الأخلاق لدى مرتكبي الفساد وذلك ناتج من ضعف العقيدة وعدم مراقبة اللَّه عز وجل ، غياب القدوة ممثلة في مديري الأعمال وكبار المسؤولين إذ إن انخراط هذه الفئات الكبيرة في الفساد يشجع الموظفين تحت رئاستهم على تقليدهم ، التحولات الاقتصادية التي يشهدها العالم الآن في ظل العولمة. هذا فضلاً على الفساد المستورد الذى أتى مع العولمة كما يشير تقرير منظمة الشفافية الدولية، إلى أن كثيراً من الرشاوى في العالم الثالث تدفعها جهات من العالم الأول.

٨. معالجة الفساد والتصدي له في ضوء الشريعة الاسلامية: ارتبط ذكر القرآن والسنة لمفهوم الفساد بمعالجة الفساد وأسبابه، والقضاء عليه والحيلولة دون وقوعه ، وسلك الشرع الحنيف في التصدي للفساد عدة مسالك.. منها: توجيهي

وإرشادي ، ومنها وتحذيري ، وآخر عقابي تمثل في عقوبات من السلطة ضد المفسدين. وقد تمثل مسلك التوجيه والإرشاد والتحذير في الآتي :

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- عدم اتباع سبيل المفسدين.
- نزاهة المصلحين.
- الدعوة إلى الإصلاح بالحكمة.
- التصدي للفساد من قبل السلطة.

هكذا نجد أن النظام الإسلامي يحاصر الفساد بعيون مفتوحة وعلى المستويات كلها لكشفه وتقديم المفسدين لينالوا عقابهم الملائم.

ثانياً: التوصيات.

أوصي في نهاية خاتمة بحثي .. بالآتي:

١. الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي وتشريعاته لكي تقينا من الفساد والمفسدين في الأرض.

٢. إشاعة التوعية الدينية والقانونية في المدارس والجامعات والمساجد بأهمية الأمانة بصورة عامة ، والابتعاد عن الفساد وحرية المال العام.

٣. تحقيق العدل في توزيع الثروات والدخول واقتلاع الحرمان من جذوره باعتباره المورد الأساسي للفساد .

٤. الشروع في إصلاحات اقتصادية ومالية تطال مختلف مناحي الحياة في الدولة وهي مسألة ليست مقتصرة على محاربة الفساد بل تتعداها إلى صعيد المقارنة التنموية الشاملة ووضع الخطط الاقتصادية الكفيلة بمعالجة ظواهر البطالة والتضخم اللذين يولدان الفساد في أشكاله المختلفة .

٥. الاستفادة من دور الإعلام في تسليط الضوء على الجهات التي ترعى الفساد واستخدام الإعلام في تحشيد الرأي العام لفضح الإفساد والمفسدين.

٦. الافادة من خبرات المؤسسات الدولية في مجال مكافحة الفساد الاداري والسياسي والمالي.

هوامش البحث

(١) سورة: الروم: الآية ٤١.

(٢) لسان العرب: لابن منظور ، ٣ / ٣٣٦.

(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة ، ٨/ ٤٥٨.

(٤) القاموس المحيط: ص ٤٤٤.

(٥) ينظر: التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني، ص٢١٤. والموسوعة الفقهية الكويتية: ٢٦/٧.

(٦) ينظر: شرح التلويح على التوضيح، مسعود بن عمر التفتازاني، ١٤٦/٢.

(٧) ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبد العزيز السلمي ١٢/١.

(٨) التوقيف على مهمات التعاريف: محمد بن عبد الرؤوف المناوي ٥٥٦/١ .

(٩) ينظر: الفساد كظاهرة عالمية واليات ضبطها ، داود خيرا لله – مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٠٩ ، ٢٠٠٤ ، ص ٦٧ . وبحث: الفساد الإداري والمالي في العراق ، مظاهره، أسبابه ، و وسائل علاجه، د.سمير عبود عباس ص٥.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه ، ص٦٧.

((١١)) ينظر: الفساد الإداري من أين يبدأ وأين ينتهي ، صحيفة ٢٦ سبتمبر اليمن–ع١٢٠٦– ص ٣٣.

((١٢)) ينظر: الفساد وتداعياته في الوطن العربي، محمود عبد الفضيل – مجلة المستقبل العربي – العدد ٢٤٣، ١٩٩٩ ص ٥.

((١٣)) الفساد الإداري في وحدات الخدمة العامة – مفهومه ، قياسه ، مظاهره ، تكلفته على المجتمع ، الطرق وأساليب مكافحته، الشامي ، احمد محمد ، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر السابع للقادة الإداريين ، المنعقد في صنعاء خلال الفترة ٢٦–٢٨ نوفمبر ٢٠٠٧م المعهد الوطني للعلوم الإدارية ، صنعاء ، اليمن. ص٧٣٧ .

((١٤)) كيف واجه الاسلام الفساد الاداري ، د . سيف راشد الجابري و د. كامل صكر القيسي — ص٢٨ .

((١٥)) منظمة الشفافية الدولية – تقرير الفساد العالمي لعام ٢٠٠٧ .

((١٦)) ينظر: الفساد الإداري – رؤية منهجية للتشخيص والتحليل والمعالجة ، عامر الكبيسي ، القاهرة ، المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، حزيران ٢٠٠٠ ص٨٧ .

((١٧)) ينظر: وبحث: الفساد الإداري والمالي في العراق ، مظاهره، أسبابه ، و وسائل علاجه، د.سمير عبود عباس ص٨ .

((١٨)) سورة الأعراف: الآية ١٢٧

((١٩)) سورة النمل: الآية ٣٤.

((٢٠)) سورة القصص: الآية ٨٣.

((٢١)) سورة الأنفال: الآية ٧٣.

((٢٢)) سورة المائدة: الآية ٣٣.

((٢٣)) سورة القصص: الآية ٤.

((٢٤)) سورة الأعراف: الآية ٥٦.

((٢٥)) سورة الشعراء: الآية ١٥٢.

((٢٦)) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

((٢٧)) سورة الرعد: الآية ٢٥.

((٢٨)) سورة محمد: الآية ٢٢.

((٢٩)) سورة الفجر: الآية ١١–١٢.

((٣٠)) ينظر: مفهوم الفساد وأنواعه في ضوء نصوص القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة، أ.د البشير على حمد الترابي، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، العدد الحادي عشر ١٤٢٦هـ ـــــ ٢٠٠٥م ص١١٤.

((٣١)) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ، ٢٠/١ برقم ٥٢، ومسلم في صحيحه ، كتاب الطلاق ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ٣/ ١٢١٩ برقم ١٥٩٩.

((٣٢)) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب التوقي على العمل ، ٢/ ١٤٠٤ برقم ٤١٩٩. وقال عنه المحقق: محمد فؤاد الدين عبدالباقي: ((رجال الإسناد موثقون)).

((٣٣)) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ، باب الألف ، ٢٤٠/٢ ، وقال عنه الزرقاني: ((أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَصَحَّحَهُ الضِّيَاءُ)) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: محمد بن عبد الباقي الزرقاني ٦٠٠/١.

((٣٤)) جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان ، باب ماجاء أن الاسلام بدأ غريباً ٣١٤/٤ برقم ٢٦٣٠، وقال عنه الترمذي: ((هذا حديث حسن)).

(٣٥) الإستئفار: ((شد الثوب على محل الدم ليمنع الجريان، وهو مشبه بثفر الدابة)) كشف المشكل من حديث الصحيحين: جمال الدين أبو الفرج الجوزي ٦٣/٣ .

((٣٦)) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الطهارة، باب من قال اذا أقبلت الحيضة ٧٤/١ برقم ٢٨٤.

((٣٧)) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ، كتاب الحج ، ١٣٠/٣ برقم ١٢٧٣٧ .

((٣٨)) سورة البقرة: الآية ١١.

((٣٩)) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي ٣٢/١.

((٤٠)) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٥٢/١.

((٤١)) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، ٤/ ٥٧٤ برقم ٢٣٤٦. وقال عنه: ((هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ)).

((٤٢)) سورة المائدة: الآية ٣٣.

((٤٣)) سورة البقرة: الآية ٢٠٥.

((٤٤)) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.

((٤٥)) ينظر: مفهوم الفساد في القرآن الكريم، د. محمد عباس نعمان الجبوري ، مجلة كلية التربية الاساسية جامعة بابل / العدد٢ ، ٢٠١٢ ، ص٣٩ ، ومفهوم الفساد وأنواعه في ضوء نصوص القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة، أ.د البشير على حمد الترابي، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، العدد الحادي عشر ١٤٢٦هـ ـــــ ٢٠٠٥م ص١١٦.

((٤٦)) سورة المؤمنون: الآية ٥-٧.

((٤٧)) سورة الروم: الآية ٤١.

((٤٨)) الممارسات غير الأخلاقية في الإدارة العامة: د. عطية حسن افندي، بحث مقدم لندوة الفساد والتنمية – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، ١٩٩٩م، صـ٥٣.

((٤٩)) ينظر: الفساد في الحكومة: الأمم المتحدة ، تقرير الندوة الإقليمية المنعقدة في لاهاي لدائرة التعاون الفني للتنمية ، نيويورك ١٩٨٩ ، ترجمة نادر أبو شيخة ، المنظمة العربية للتنمية. ص ١٥- ١٦ .

((٥٠)) ينظر: المصدر نفسه: ص ٣٥ .

((٥١)) تقرير عن التنمية في العالم ١٩٩٧م – البنك الدولي للإنشاء والتعمير – ترجمة ونشر مؤسسة الأهرام صـ١١٢ .

((٥٢)) دور مؤسسات المجتمع المدني في مكافحة الفساد: أنطوان عسرة ، ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣١٠ ، ديسمبر ٢٠٠٤ ، ص ١٢٦ .

((٥٣)) ينظر: الفساد الإداري والمالي في العراق ، مظاهره، أسبابه ، و وسائل علاجه، د.سمير عبود عباس ص٨.

((٥٤)) محاولة لفهم العولمة: توماس فريدمان، ترجمة ليلى زيدان – الدار الدولية للنشر والتوزيع، صـ٢٠٧-٢١٣.

((٥٥)) ينظر: تقرير عن التنمية في العالم ١٩٧٧م البنك الدولى، صـ١٠٨-١١٤، والممارسات غير الأخلاقية في الإدارة العامة: د. عطية حسن افندي، بحث مقدم لندوة الفساد والتنمية – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، ١٩٩٩م ،صـ٥٤-٥٦. والإجراءات العملية الإسلامية لعلاج الفساد الاقتصادي: د.محمد عبد الحليم عمر ، بحث مقدم لندوة: «الفساد الاقتصادي: الواقع المعاصر – العلاج الإسلامي» القاهرة: ١٦-١٧ ذي الحجة ١٤٢٠هـ – ٢٢-٢٣ مارس ٢٠٠٠م ، ص٦.

((٥٦)) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

((٥٧)) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الايمان ، باب قول النبيﷺ الدين النصيحية ٢١/١.

((٥٨)) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الايمان ، باب بيان كون النهي ، ٦٩/١. برقم ٤٩.

((٥٩)) سورة الأعراف: الآية ١٤٢ .

((٦٠)) سورة هود: الآية ١١٣.

((٦١)) سورة الصف: الآية ٢-٣ .

((٦٢)) سورة النحل: الآية ١٢٥ .

((٦٣)) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة ، باب فضل الرفق ٢٠٠٤/٤ برقم ٢٥٩٤.

((٦٤)) سور آل عمران ، الآية ١٥٩ .

((٦٥)) سورة طه ، الآية ٤٣ – ٤٤ .

((٦٦)) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل البول ، ٢٣٦/١. برقم ٢٨٥

((٦٧)) سورة البقرة: الآية ١٧٩ .

((٦٨)) سورة المائدة: الآية ٣٨.

((٦٩)) سورة المائدة: الآية ٣٨.

((٧٠)) سورة المائدة: الآية ٣٣.

((٧١)) سورة النور: الآية ٢.

((٧٢)) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحدود، باب حد الزنى، ١٣١٦/٣ برقم ١٦٩٠.

((٧٣)) ينظر: سبل الإسلام للصنعاني : ٣٠/٤ .

((٧٤)) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد، ١٥/٩ برقم ٦٩٢٢.

((٧٥)) ينظر: مفهوم الفساد وأنواعه في ضوء نصوص القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة، أ.د البشير على حمد الترابي، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، العدد الحادي عشر ١٤٢٦هـ ـــ ٢٠٠٥م ص١٢١.

((٧٦)) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى، ٥/٢ برقم ٨٩٣.

((٧٧)) ينظر: الإجراءات العملية الإسلامية لعلاج الفساد الاقتصادي: د.محمد عبد الحليم ، ص٢٦.

((٧٨)) الفساد الإداري في وحدات الخدمة العامة – مفهومه ، قياسه ، مظاهره ، تكلفته على المجتمع ، الطرق وأساليب مكافحته، الشامي ، احمد محمد ، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر السابع للقادة الإداريين ، المنعقد في صنعاء خلال الفترة ٢٦-٢٨ نوفمبر ٢٠٠٧م المعهد الوطني للعلوم الإدارية ، صنعاء ، اليمن. ص٧٣٧ .